

## أبحاث

تأثير اللغة الأجنبية في اللغة الأم لدى  
الطفل العربي

أ.د. نجاة عبدالعزيز المطوع

قسم المناهج وطرق التدريس  
كلية التربية - جامعة الكويت

## ملخص:

تناول الدراسة اثر تعليم اللغة الأجنبية على اللغة الأم لدى الطفل العربي، مشيرة إلى التباين في وجهات النظر حول هذا الموضوع، فهناك تربويون يرون أن تعلم اللغة الأجنبية إلى جانب اللغة العربية من شأنه أن يحدث تداخلاً بين اللغتين، الأمر الذي يؤثر سلباً في قدرة الطفل العربي على استيعاب لغته الأم، بينما يرى آخرون عكس ذلك.

ولا زال التناقض قائماً بين المختصين لأسباب عدة أهمها طبيعة اللغة الأجنبية، وسن الطفل أو المرحلة التي تدرس فيها، بالإضافة إلى كثافة منهجها وطريقة تعليمها، وفيما إذا كانت تدرس كمادة منفصلة ضمن المنهج العام أو أنها تستخدم كوسيلة تعليمية لمواد أخرى.

خلصت الدراسة إلى بعض الاعتبارات التي يمكن الأخذ بها لتلحد من سلبيات أثر تلك الأجنبية على اللغة الأم، خاصة تأجيل سن البدء في تعلم اللغة الأجنبية للمرحلة التي يصبح فيها الطفل العربي متمكناً من اللغة الأم، وكذلك الاهتمام بمنهج اللغة العربية والقائمين على تدريسها لترسيخ الأسس التي تقوم عليها إلى الحد الذي تتجاوز فيه مرحلة الخوف عليها من تأثير اللغة الأخرى.

في ضوء ما تقدم، يمكن النظر إلى بيئة اللغة الأجنبية كنهج يمتد من جانب إيجابي تتوفر فيه فرص التعرض المذكورة أعلاه، وتقلص شيئاً فشيئاً لتتقدم تماماً في الجانب الآخر بحيث ينحصر تمرس الطلبة للغة الأجنبية في حصص معدودة في المدرسة (Muhmoud, 1999) (1992). إن تحديد موقع ظروف تعلم اللغة الإنجليزية في البلاد العربية على هذا النهج، يضعها في نهاية أو قرب نهاية الجانب السلبي الذي يسميه كراشين "البيئة الفقيرة" (Krashen, 1985). إذ لا يترعرع الطلبة للغة الأجنبية خارج الصف الدراسي. وبالتالي ليس من المستغرب أن يتحدث المعلمون والمهتمون بأمر تعليم اللغات الأجنبية عن ضعف مستوى الطلبة في تلك اللغات خاصة اللغة الإنجليزية.

إن مستوى هذا الضعف ربما يصل أحياناً إلى درجة أن ينتج الطلبة جملاً عربية بحروف إنجليزية، أو يتحولون من التحدث بالإنجليزية إلى العربية عندما لا تسعفهم حصيلتهم اللغوية. وهناك من يترجم حرفياً من لفته الأم إلى الإنجليزية، غني عن القول أن اللجوء إلى اللغة الأم ليس سوى استراتيجية تعويضية، وما كثرة الأخطاء التي تنتج عنها إلا مؤشر لعدم الكفاءة في اللغة الأجنبية. علاوة على أن تدهور المستوى في اللغة الإنجليزية يرجع بعض الأحيان إلى عوامل أخرى مثل دافعية الطلبة، وطرائق التدريس، والمواد الدراسية، وطبيعة الامتحانات، ومستوى كفاءة المدرسين.

### حجج المؤيدين والمناهضين لتعليم اللغة الأجنبية للأطفال

انقسم التربويون إلى مجموعتين بين مؤيد ومعارض لإدخال اللغة الأجنبية في مناهج الدراسة الأولية، وكل فريق يسوق الحجج والمبررات لتأكيد وجهة نظره. وسيكتفي هذا البحث بالإشادة إلى أبرز الموضوعات لدى الفريقين. فالمؤيدون يرون أن تدريس اللغة الأجنبية في المرحلة الأساسية يتيح للمتعلم وقتاً أطول لدراستها في كافة مراحل التعليم؛ علاوة أن البدء في تعلمها في هذه المرحلة يمكن الطفل من اكتسابها في صغره بسهولة. ويدعم التربويون رأيهم هذا بالتأكيد على أن الأطفال في هذه المرحلة يتسمون بصفاء عاطفي، أي نهست لديهم ميول عدائية ضد اللغة الأجنبية وههاتها، الأمر الذي يساعد على تقبلهم لها، ومن ثم إتقانها. كما أن هؤلاء التربويين يقولون بأهمية تزويد التلاميذ في هذه المرحلة بمعلومات كافية عن حضارات الآخرين عن طريق اللغة الأجنبية إلى جانب اللغة الأم (Kokonis, 1995). إضافة إلى ذلك يسوق المؤيدون المبررات التالية:

- 1- أن إدخال اللغة الأجنبية في المرحلة التعليمية الأولى يشكل الأساس لتجربة تربوية ناجحة، حين يقوم كل فرد بعلمها دون أن يؤثر ذلك على مواصلة الدراسة وعلى تحقيق تحصيل دراسي أفضل (Kennedy & Park, 1994).
- 2- أن تزويد الأطفال بالمهارات اللازمة للمشاركة الفاعلة في المجتمع الحديث يساهم في التطورات المتواصلة في تكنولوجيا الاتصال، التي تصبح سيرة في ظل تكوين مراثيات إيجابية في المدارس الابتدائية.

- ٢- أن البداية المبكرة في تعلم اللغة الأجنبية تمنح الأطفال فرصة لتقبل الثقافات الأجنبية، وهذا يساعد على بناء شخصية الطفل وصقل مواهبه، وزيادة شعوره نحو لغته الأم.
- ٤- أن تعلم اللغة الأجنبية يشجع على التسامح في المجتمعات ذات الثقافات المختلفة. إن الأطفال الصغار لديهم استعداد أكبر في تعلم اللغة الأجنبية، خاصة أن مهارات الاستماع تقل قوتها بمرور الزمن، ويتجه الأطفال نحو تحديد خياراتهم كلما تقدمت بهم السن (Schimek, 1995).
- ٥- أن تعلم اللغة الأجنبية في مرحلة مبكرة يساهم في الإقبال على تعلم اللغات الأجنبية الأخرى في مراحل لاحقة.
- ٦- أن تعلم اللغة الأم لن يتأثر من إدخال اللغة الأجنبية ولن يفقد الطفل لغته الأولى. بل إنها ستكون عاملاً مساعداً لتعلمها (Filmore, 1991 Selim, 1995).
- على أن الفريق المعارض لتعليم اللغة الأجنبية في مرحلة مبكرة لم يعدم الحجة في تبرير موقفه. ففي المقام الأول شدد هذا الفريق على التأثير السلبي لتعلم اللغة الأجنبية في مرحلة الطفولة على مستوى اللغة الأم ومكانتها، لأن الأزواج في تعليم اللغة في هذه المرحلة غالباً ما يكون على حساب اللغة الأم، ولعلمهم يستندون إلى أدلة مستمدة من دراسات في علم النفس التربوي، والتطبيقات العملية، والظروف المالية والإدارية للتعلم.
- ويعتبر عالم اللغة الإنجليزي مايكل وست من أول المناهضين لتعليم اللغات الأجنبية في سن مبكرة. يناظره من العالم العربي عبد العزيز القوصي، مدير مركز اليونسكو للتربية في بيروت خلال الخمسينات، الذي طالب بإلغاء اللغة الأجنبية كلية من مناهج المرحلة الابتدائية في الدول العربية. لقد كان ذلك أحد الأسباب، إلى جانب البعد القومي، التي أدت إلى إلغائها فعلاً في مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢. كما ساندته الرأي العربي المعروف ساطع الحصري في قوله أن تعليم اللغة الأجنبية في المدارس الابتدائية أمر يضر بمصلحة الطفل ويعرقل نموه الفكري ويحد منه (القاسمي، ١٩٧٩). ويستشهد المناهضون بعدة اعتبارات لتعزيز وجهة نظرهم، وفيما يلي أبرزها:
- ١- أن نمو الذكاء لدى الفرد العادي يصل إلى ذروته في سن الخامسة عشر، ويظل مستوى الذكاء ثابتاً حتى بلوغه الأربعين، عندها يبدأ في الانخفاض. وطبقاً لهذا الرأي يكون البالغون الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والأربعين سنة أقدر على تعلم اللغة الأجنبية من الأطفال الذين لم يستكمل ذكاؤهم نموهم (القاسمي، ١٩٧٩).
- ٢- أن تعلم لغة ثانية عملية معقدة جداً، تشتت تركيزها فيها جميع قوى الفرد العقلية والتفكيرية والعضلية والعاطفية. وهي لا ريب عملية مرهقة للأطفال الصغار بالعالم العربي. فهم يتعلمون لغة ثانية في المدرسة الابتدائية من الناحية العملية، وهي اللغة العربية الفصحى التي تختلف بقدر أو بأخر عن لغة الطفل الأولى (العربية الدارجة) المستخدمة كوسيلة اتصال سواء في البيت أو الشارع. لذلك ينبغي عدم تحميلهم عبء

لغة ثالثة" كالإنجليزية (Ayari, 1996, أبو عيدين, 1994). ويرى بعض الباحثين أن اللمعة تكمن في الصعوبة التي تواجه الطفل عند محاولته فهم المدرك المعنوي للكلمة. فإذا كان لهذا المدرك لفظان ازداد تعبه لكي يميز بينهما (نمل - جزمه). فما بالك إذا سمع معلماً يستعمل (كندرة - مباط). لاشك أن الطفل سيزداد إرهاقاً عندما تضاف كلمة Shoes الإنجليزية (القاسمي, 1979).

٢- تمثل مرحلة الحصانة ورياض الأطفال (٣-٦ سنوات) هي علم النفس مرحلة الطفولة المبكرة، حيث يكون الأطفال فيها أكثر حاجة لتعلم لغتهم العربية الأصلية، والتمكن من أولياتها نطقاً وكلاماً ومخاطبة وقدرة على التعبير اللغوي الصحيح، وما يرتبط بذلك من تدريب لمضلات اللسان والحبال الصوتية في بداية نموهما. وإذا ما أضيفت لغة أجنبية أخرى ليتعلمها الطفل إلى جانب اللغة العربية فلنبدأ سوف تمرق تقدمه في تعلم لغته الأصلية، وتؤخر نموه اللغوي بالعربية. فكل لغة لها تكييف صوتي خاص بها قد يفسد عند تعلم أكثر من لغة في ذات الوقت، علاوة على أن لكل لغة مهارات خاصة مثل "النطق والتعبير والكتابة" تختلف عن مهارات اللغة الأخرى... ويصعب على الطفل الصغير في بداية حياته أن يتعلم تلك المهارات المزدوجة من لغتين في وقت واحد. فهي حالة تعلم لغتين في آن واحد، فإن الطفل لا يمكنه إتقان أي من العربية أو الإنجليزية، ولو اتقن إحداها فإن ذلك يكون على حساب الأخرى. من هنا لا بد من تأخير مرحلة تعليم اللغة الثانية حتى يفرغ الطفل من إتقان لغته الأصلية، وليس هناك خوف على اللغة الأم متى كانت قوية بمنامجها وأبنائها القائمين عليها، ويستشهد هؤلاء التربويون بالتجارب العملية للمناطق الأخرى من العالم حيث تقتصر الدول المتقدمة على تدريس اللغة القومية دون غيرها في المرحلة الأولى (جلال, 1993, رافع, 1992).

٤- إن تعليم اللغة الإنجليزية في الصفوف الأولى ربما يكون له تأثيره السلبي على النطق الحركي البصري للطفل، الأمر الذي يشكل صعوبة في الكتابة لفتين كل منهما تكتب في اتجاه معاكس للأخرى. لقد لوحظ في تجربة إدخال الإنجليزية هي كل من دولة الإمارات العربية المتحدة ودولة الكويت، أن الطفل يحاول أن يكتب اللغة باتجاه معاكس بسبب تأثير اللغة الإنجليزية على يد الطفل، وكمثال فإن كتابة الفتحة من الشمال لليمين، وكتابة بعض الكلمات مثل (سار حمد في شارع) هكذا (سار حمد في ع راش)، وكذلك فراجة بعض الأرقام العربية مثلاً (65 - 66) هكذا (66 - 65)، أضف إلى ذلك كتابة الأرقام معكوسة مثل (3-٤)، (7-٢)، (9-1)، (6-2)، (2-6)... إلخ. فإذا كان الارتباك موجوداً لدى الطفل بهذا الشكل فلن إدخال الإنجليزية سوف يزيد منه (الداودي, 1995, وحدة القياس والتقويم - وزارة التربية الكويت 94-97).

٥- أن اللغات الأجنبية لا تشمل بنفس الوحدات اللغوية وعناصرها التي تحملها اللغة العربية من الناحية الصوتية والنحوية وأندلالية، فهنا التباين قد يؤثر سلباً على اللغة

الأم (صادق ١٩٩٥). فعلى سبيل المثال إذا هورنت العربية بالانجليزية من حيث التراكيب اللغوية فإن عناصر الجملة الانجليزية تفهم من خلال النظام الداخلي المنظم للجملة، ومن خلال ترتيب تلك الوحدات اللغوية، فيمكن فهم الجملة الانجليزية:

### The boy bought his mother a gift

عن طريق ترتيب وحداتها اللغوية بشكل منسق يعطي للجملة معنى هو نتاج هذا النظام الداخلي اللغوي. أما بالنسبة للغة العربية فيمكن أن تستخدم ذات الجملة بعدة أشكال على النحو التالي:

◆ اشترى الولد هدية لأمه.

◆ اشترى هدية لأمه.

◆ اشترى لأمه هدية.

◆ ولأمه اشترى هدية.

في ضوء ما سبق فإن النظام السطحي للجملة العربية يخضع لاعتبارات تنظيمية عدة تتعلق بنهايات الكلمات، وهذا بدوره يختلف عن الجملة الانجليزية التي تعتمد على ترتيب المفردات والوحدات ترتيباً أفقياً.

٦- أن تدريس اللغة الأجنبية هي المرحلة الأساسية سيزاحم منهاج اللغة العربية والتربية الإسلامية التي تشكل غالبية المناهج في تلك المرحلة. فالوقت المخصص لدراسة اللغة الأجنبية سيكون على حساب تلك المواد الأساسية. كما أن تدريس اللغة الانجليزية غير مناسب في هذه المرحلة بسبب حاجة التلميذ إلى تعلم لغة الأم، ومبادئ دينه، إضافة إلى أن إدخال اللغة الأجنبية سيترك التلاميذ لغوياً، ويزعزع ثقتهم بلغتهم، وسيجعلهم يتشربون بعض المفاهيم الأجنبية منذ الصغر. وقد يستمر ذلك إلى المراحل المتقدمة. كما تقول فاطمة حسين (١٩٩٣) تعقياً على قرار إدخال اللغة الإنجليزية في المرحلة الأساسية المبكرة بدولة الكويت عام ١٩٩٣ لا يعني بأن تقديم اللغة الأجنبية بصورة مبكرة هو الدواء الناجح، ولكنه مجرد ترميم ثقافي وفتي قد يفيد في وقت الطوفان الصايف لأبنائها باتجاه المدارس الأجنبية، ولكنه يظل مجرد ترميم لا يرقى إلى حد الوقاية. وهذه الوقاية لا تأتي إلا بإعادة النظر بمناهج العربية. وتضيف نحن نحتاج لغة الأجنبية، ولكن يجب أن نقدمها لبنة زاوية فوق أساس متين من اللغة العربية.

٧- أن إدخال اللغة الأجنبية هي المرحلة الأساسية يزيد من الهالة التي رسمت في عقول كثير من الآباء حول أهمية اللغة الانجليزية، واقتراح تعلمها بالمستقبل الجيد، وما إلى ذلك من أوهام. وقد أدت هذه الهالة إلى اندفاع بعض الآباء إلى تدريس أبنائهم اللغة الأجنبية بدءاً من الروضة، وهي المدارس الخاصة، غير عابئين بما يعترض الأطفال من مخاطر ثقافية ولغوية وعاطفية (المعموري وآخرون ١٩٨٢).

٨- تدعو بعض الدراسات المختصة إلى التدريس عبر ثقافة اللغة المستهدفة، وثقافة الناطقين بها. لكن تدريس الصغار اللغة بهذا المضمون الثقافي له مخاطره لما يترتب عليه من اهتزاز ثقة الطفل بثقافته ولغته، وجعله يتعاطف مع اللغة الأجنبية وثقافتها، وربما يؤثر ذلك على ولائه لدينه ولغته وثقافته.

٩- أن تدريس اللغة الأجنبية في المرحلة الأساسية يعتبر متناقضاً مع التوجه نحو تعريب التعليم بشكل عام، خاصة التعليم الجامعي، وسيكون الجهد والمال الذي يصرف على تعليم اللغة الأجنبية وترسيخها في المراحل المبكرة على حساب اللغة العربية ومجهودات التعريب (الشمري، ١٩٨٩).

١٠- أن إدخال اللغة الإنجليزية في سن مبكرة يزيد من أزمة النقص في مدرسي اللغة، وما يترتب عليها من إشكاليات متمثلة في تعيين مدرسين غير مؤهلين تربوياً ولغوياً، مما يؤدي إلى ضعف تعلمها لدى الطلبة.

### الدراسات السابقة

تركز الدراسات والبحوث التي لها علاقة بموضوع الدراسة على الازدواجية اللغوية والثقافية، خاصة في المجتمعات التي تتعدد فيها الثقافات واللغات مثل الولايات المتحدة وكندا وبعض الدول الأوروبية. لقد أولت تلك الدراسات اهتماماً ملحوظاً بقضية تأثير تعليم لغة ثانية على اللغة الأم، أما في الدول العربية فإن الدراسات الخاصة بتأثير اللغات الأجنبية على اللغة العربية لازالت محدودة.

لقد اهتمت الدراسات التي أجريت في النصف الأول من القرن العشرين بوجود ظاهرة الإعاقة اللغوية عند الأطفال الذين يتعلمون لغتين. إن البحوث الميدانية قد توصلت إلى ذلك الاستنتاج لدى مقارنة مستوى الأطفال الذين يدرسون لغة واحدة بالأطفال والذين يدرسون لغتين. ووجدت أن هؤلاء يعانون من قصور لغوي بالمقارنة مع الفئة الأولى. اتضح ذلك القصور في مجالات وقدرات لغوية، خاصة المفردات ومعانيها، وهي الكتابة الإنشائية، والقواعد. حاول الأستاذ ماكنمار تحليل ذلك بما أسماه "عامل التوازن" حيث يكون التحصيل في اللغة الثانية دائماً على حساب استيعاب مهارات اللغة الأم (Macnamar, 1966). لكن الأستاذ كمنز (Cummins, 1978) وجه انتقاداً إلى ذلك التحليل، مشيراً إلى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار عامل الوقت المخصص لتعليم اللغة الأم حين تكون اللغة الثانية أداة تعليم. بعبارة أخرى إذا كان عدد الحصص المخصص لتعليم اللغة الأم قليلاً فإن مستوى الطلبة سينخفض دون أن يكون لذلك علاقة بطبيعة المواد الدراسية أو باللغة التي يتعلمون بها. أما الدراسات التي أجريته في النصف الثاني من القرن العشرين حول آثار تعليم لغتين معاً فإنها توصلت إلى نتيجة مفادها أن أطفال اللغة الواحدة كان أداءهم ونتائجهم أفضل من أداء ونتائج أطفال اللغتين في القدرات الكتابية. كما أكدت هذه الأبحاث أن أطفال اللغتين يعانون من بعض المصاعب والإعاقة اللغوية التي ترتبط باجتهادهم من أجل التمكن والتأقلم مع نظام لغتين.

وفي الدول العربية أشارت الدراسة التي أجراها عفيفي (١٩٨٩) في القاهرة إلى نتائج سلبية لبرامج ثنائي اللغة. لقد عنيت الدراسة بتأثير تدريس العلوم باللغة الانجليزية على تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي، واتجاهاتهم نحو مادة العلوم. إذ قام الباحث بتطبيق اختبار تحصيلي على عينة مكونة من ٥٧٥ تلميذاً مقسمين إلى مجموعتين: الأولى تدرس العلوم بالانجليزية والثانية تدرس العلوم بالعربية. وذلك في ست مدارس ابتدائية نصفها مدارس للغات والنصف الآخر المدارس الأهلية. وتم استبعاد المدارس الحكومية لتحقيق التقارب في الظروف والإمكانات المدرسية بينهم. استتجت هذه الدراسة انخفاض مستوى التحصيل لدى المجموعة الأولى التي درست العلوم بالإنجليزية، بينما حققت المجموعة الثانية التي درست العلوم باللغة العربية مستوى أعلى من التحصيل.

وفي مصر أيضاً أجرى خضر (١٩٨٦) بحثاً حول نوع التأثير الذي يحدثه تعلم اللغة الأجنبية في مرحلة مبكرة على مستوى النمو اللغوي في لغة الطفل الأولى. استتدت الدراسة إلى تطبيق مقياس مستوى النمو اللغوي على عينة من تلاميذ الصفين الرابع والسادس الابتدائي ممن التحقوا بالروضة لمدة عامين. وكانت النتيجة التي توصل إليها الباحث هي أن مستوى اللغة الأولى يتأخر لدى الأطفال الذين يدرسون لغات أجنبية في سن مبكرة عن أقرانهم ممن لا يدرسون لغات أجنبية. علاوة على ذلك فإن التأثير السلبي لتعلم اللغة الأجنبية في مرحلة مبكرة على مستوى النمو للغة الأولى للطفل يقل مع تقدم الطفل في العمر. وهذا الاستنتاج يؤكد ما توصل إليه حنا (١٩٦٧)، الذي أجرى بدوره تجربة في مصر على عينة من تلاميذ الصف الرابع الابتدائي في مدارس حكومية تدرس اللغة الانجليزية، فقام الباحث بتدريس اللغة الانجليزية للمجموعة التجريبية بمعدل ساعة يومياً. وفي نهاية الفترة أجرى اختبارات تحريرية لقياس المهارات اللغوية وعناصر اللغة الأخرى. اتضح منها أن تعلم تلميذ الصف الرابع الابتدائي للغة الانجليزية لا يؤثر سلباً على تحصيله للغة العربية. بل قد يؤدي إلى رفع مستوى تحصيله في بعض جوانب اللغة وأهمها الفهم والتعبير. وكذا الحال بالنسبة لكل من هالكع وأوجيني (١٩٩٤)، اللذين أجريا دراسة تقويمية لتجربة إدخال اللغات الأجنبية في المدارس الابتدائية في مصر. فعندما طبقا اختبارات تحصيلية باللغتين العربية والانجليزية على تلاميذ الصفين الرابع والخامس الابتدائي. تبين أن تدريس اللغات الأجنبية في الصفوف المتقدمة لن يؤثر على تعلم اللغة الأم.

ولعل أكثر الدراسات شمولاً تلك التي قام بها المعموري وآخرون (١٩٨٣) اللذين ركزوا أثر تعليم اللغات الأجنبية في تعلم اللغة العربية لدى طلبة المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية في البلاد العربية. تضمنت الدراسة تطبيق استبانة على عينة من ٧٠٠ طالب وطالبة في مختلف الدول العربية وكان من أبرز النتائج التي توصلوا إليها ما يلي:

- ♦ أن ميل الطلبة إلى اللغة العربية يفوق ميلهم إلى اللغات الأجنبية.
- ♦ تنفسي استخدام اللهجة العامية داخل الصف بدلاً من استخدام العربية الفصحى.

♦ التأثير السلبي غير المباشر للغات الأجنبية. متمثلاً في انشغال الطلبة وتحويل اهتمامهم عن لغتهم العربية وما يترتب عليه من ضعف فيها. بناء عليه، اقترح الباحثون تأجيل سن البدء في تعليم اللغة الأجنبية إلى الصفوف الأعلى عندما يكون الطفل العربي متمكناً من لغته الأم.

وفي عام (١٩٩٠) قام الشخبي في جمهورية مصر العربية بإجراء دراسة للتعرف على موقف التربويين من إيجابيات وسلبيات تعليم اللغات الأجنبية في المرحلة الابتدائية. أكدت نتائج الدراسة أن الغالبية ترى أن تعليم لغة أجنبية لا يؤثر على مستوى تحصيل التلاميذ في اللغة العربية ومكانتها، معللين ذلك بأن الطفل في هذه المرحلة لديه الاستعداد لتعلم أكثر من لغة وأن اللغة عبارة عن مهارات، وأن التدريب على لغة معينة يساعد في تقوية مهارات اللغة الأخرى.

وهي دراسة أخرى حول آراء واتجاهات عينة من الطلبة الجامعيين المتحدثين باللغة العربية نحو تعلم اللغة الانجليزية داخل إطار برنامج الدراسة الجامعية في مصر، حيث غالبية أفراد العينة في تعلم اللغة الإنجليزية في سن مبكرة من أجل تحقيق تعلم أكثر كفاءة في مراحل التعليم المتقدمة (صادق، ١٩٨٨).

كما أجرى مقطش والخطيب (١٩٨٢) دراسة حول تأثير عدد من العوامل على التحصيل في اللغة الأجنبية في مختلف المدارس الأردنية. خلصت الدراسة إلى أن الطلبة الذين بدءوا مرحلة تعلم اللغة الإنجليزية في مرحلة الروضة والصف الأول الابتدائي حققوا نتائج أفضل مقارنة بالطلبة الذين بدءوا في دراستها في الصف الخامس ابتدائي. كما أن الطلبة الذين تعلموا الإنجليزية منذ مرحلة الرياض كانت نتائجهم أفضل من أقرانهم الذين بدءوا في دراستها منذ الصف الأول الابتدائي. بناءً عليه استخلص الباحثان أنه كلما بدأ الأطفال بتعلم الإنجليزية في سن مبكرة كلما كانت نتائجهم أفضل في هذه اللغة.

في دولة قطر أجريت دراسة لقياس النمو اللغوي في اللغة العربية لدى تلاميذ الصفين الرابع والسادس الابتدائي، والتعرف على نوع التأثير الذي يمكن أن يحدثه تعلم لغة أجنبية في سن مبكرة على مستوى نمو الطفل اللغوي في اللغة العربية (الملا، ١٩٩٤). وقد طبق قياس النمو اللغوي على عينة مكونة من (١٠٧٤) تلميذاً في ست مدارس حكومية تدرس الإنجليزية في سن متأخرة. وخمس مدارس عربية أهلية تبدأ في تدريسها في مرحلة الحضانه، ومدرسة خاصة تدرس جميع المواد بالانجليزية عدا اللغة العربية والدين والاجتماعيات ومعظم التلاميذ فيها عرب. ومن أبرز نتائج الدراسة ما يلي:

♦ تفوق تلاميذ المدرسة الابتدائية الذي لا يدرسون لغات أجنبية (مدارس حكومية) على أقرانهم ممن يدرسون لغات أجنبية في سن مبكرة.

♦ توجد فروق هامة بين درجات تلاميذ الصف الرابع الذين لا يدرسون لغات أجنبية والتلاميذ الذين يدرسون لغة انجليزية بصورة مكثفة لصالح المجموعة الأولى (مدارس الحكومة) في مهارتي الفهم والمحادثة.



❖ انعدام الفروق بين درجات تلاميذ الصف السادس الذين لا يدرسون لغات أجنبية (مدارس حكومية) والتلاميذ الذين يدرسون لغة إنجليزية بصورة غير مكثفة (أهلية) في النمو اللغوي.

❖ تفوق تلاميذ الصف السادس على تلاميذ الصف الرابع في أبعاد النمو اللغوي في المجموعات الثلاث، أي أن النمو اللغوي للطفل يزداد بتقدمه في المستوى التعليمي.

أما في دولة الكويت فقد أجريت سلسلة دراسات تناولت أثر إدخال مادة اللغة الإنجليزية على تدريس اللغة العربية لتلاميذ الصفوف المختلفة في المرحلة الابتدائية، فهي دراسة استهدفت استطلاع رأي شريحة كبيرة نسبياً من المجتمع الكويتي (١٢٠٠ شخص) من مختلف المؤسسات والمناطق السكنية في البلاد إزاء إدخال اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية. كانت النتائج التي خلصت إليها الدراسة أن الكثير من أفراد العينة أعربوا عن قلقهم بشأن تأثير اللغة الإنجليزية على تحصيل التلاميذ في اللغة العربية، وعلى تأخيرها على الجدول الدراسي. كما كانت الآراء متصارعة بشأن الفكرة القائلة أن سنوات التدريس الأولى هي أفضل فترة لتدريس اللغة الإنجليزية كلفة أجنبية في المدارس الابتدائية (Al-Mutawa, 1996).

كما أجريت دراستان لتقويم أثر تدريس اللغة الإنجليزية على التحصيل في اللغة العربية (Bassa & Al-Mutawa, 1997, 1998)، كانت الأولى في العام الدراسي ٩٤/٩٥ حيث قام الباحثان بمقارنة المستوى التحصيلي في مادة اللغة العربية لتلاميذ الصف الأول الابتدائي ٩٢/٩١ الذين لم يتعلموا اللغة الإنجليزية، بالمستوى التحصيلي في مادة اللغة العربية بأقرانهم في العام الدراسي ٩٤/٩٢ الذين تعلموها. وأشارت النتائج إلى وجود فروق جوهرية بين أداء التلاميذ في مادة اللغة العربية بين المجموعتين لصالح المجموعة الثانية، أي أن مستوى تلاميذ الصف الأول الابتدائي في اللغة العربية قد تحسن بعد دراستهم للغة الإنجليزية.

أما الدراسة الثانية فقد أجريت في العام ٩٥/٩٦، وتناولت الآثار المترتبة على إدخال اللغة الإنجليزية في المنهج الدراسي لتلاميذ الصف الثاني الابتدائي على تحصيلهم باللغة العربية. تشير نتائج الدراسة أن مستوى تحصيل التلاميذ باللغة العربية لم يتأثر بدراستهم للغة الإنجليزية، الأمر الذي يتناقض مع مزاعم التأثير السلبي لتدريس اللغة الأجنبية على تعلم اللغة الأم. علماً أنه في الوقت ذاته لا يؤكد التأثير الإيجابي الذي أشارت إليه الدراسة السابقة.

هذا وقد أجريت دراسات في وحدة القياس والتقويم بوزارة التربية في الكويت، لتقويم هذا الأثر بالتعرف على اتجاهات معلمي اللغة العربية نحو تدريس الإنجليزية في المرحلة الابتدائية، وقد رأت غالبية أفراد العينة وجود انحياز لدى الإدارة المدرسية نحو الاهتمام بتدريس اللغة الإنجليزية أكثر من اللغة العربية، واقترحت الدراسة بناء على ذلك إجراء دراسة تحليلية للبيئة النفسية التي يعمل فيها معلمو ومعلمات اللغة العربية. (وحدة القياس والتقويم - وزارة التربية - الكويت ٩٤ - ٩٧).

## الخلاصة

مما سبق يتضح أن النتائج التي توصل إليها الباحثون تقسم إلى قسمين. فبعض الدراسات تؤكد أن تعلم الإنجليزية في سن مبكرة له آثار إيجابية على مستوى نمو الطفل في لغته الأم وفي اللغة الأجنبية. أما البعض الآخر فقد استنتج أن لهذا التفكير آثاراً سلبية وأن اللغة الأجنبية تؤثر على اللغة الأم.

لقد تناولت أغلب الدراسات التي أجريت في الدول العربية السنوات الدراسية المتأخرة في التعليم الأساسي (الصف الرابع والخامس أو السادس الابتدائي). وكما هو متوقع توصلت هذه الدراسات إلى نتائج إيجابية، حيث أن التلميذ يبدأ بتعلم اللغة الأجنبية وهو في سن العاشرة. أي بعد تمكنه من لغته الأم.

هذا وينبغي التمعن في تأويل الدراسات الخاصة بالموضوع، بسبب التباين بين اللغات الأجنبية في الخصائص اللغوية والنحوية والصوتية، في الوقت الذي تختلف فيه اللغة العربية عن اللغات الأخرى. إن معظم هذه الدراسات تدور حول مشكلة ثنائية اللغة، وهو مفهوم يختلف عن اللغة الأجنبية في العالم العربي. فالتعليم ثنائي اللغة يهدف إلى الوصول بالفرد إلى المستوى الذي يتمكن فيه من استخدام كل من اللغتين بنفس القدر، بينما يهدف تعليم اللغة الأجنبية إلى مساعدة الفرد على استخدامها لأغراض وظيفية.

إن معظم الدراسات التي أكدت إيجابية العلاقة بين تعلم لغتين في آن واحد قد أجريت على لغتين متقاربتين بقدر أو بآخر في مفرداتهما. أما إذا اختلفت مفردات اللغتين فقد يؤدي ذلك إلى الإقلال من إيجابية العلاقة بينهما.

الجدير بالذكر أن معظم الدراسات التي أشارت إلى أن تدريس اللغة الأجنبية في المرحلة الابتدائية لا يضعف من تحصيل التلاميذ في اللغة الأم، قد أجريت في مجتمعات سوداوية التعددية الثقافية واللغوية كالمجتمعات الأمريكية والكندية والأسترالية، وهذه المجتمعات تسعى إلى توحيد اللغة لتلافي المشكلات التي تنجم عن تلك التعددية.

ويمكن أن نخلص من الدراسات السابقة أنه بينما البعض يعتقد أن تعليم التلاميذ لا يضعف من تحصيلهم في اللغة الأم لأن لديهم القدرة على فهم واستيعاب جوانب عديدة من كلتا اللغتين. فإن آخرين يرون أن تعليم اللغة الأجنبية يجب ألا يبدأ إلا بعد إتقان الطفل للغته العربية. وذلك لأن إتقان الطفل للغة الأصلية يمثل عاملاً أساسياً في تعلمه اللغة الأجنبية.

إن النظرة المتأنية للدراسات السابقة تشير إلى أهمية الأخذ بالاعتبارات التالية:

- ١- تأجيل سن البدء في تعلم اللغة الإنجليزية إلى المرحلة التي يصبح فيها الطفل العربي متمكناً من اللغة العربية.
- ٢- عدم تحميل اللغة الإنجليزية وحدها مسئولية ضعف اللغة العربية سواء في المدرسة أو خارجها، خاصة أن اللغة العربية تترفض إلى مناقشة من اللهجة العامية.
- ٣- الاهتمام بمنهج اللغة العربية والقائمين على تدريسها لترسيخ الأسس التي تقوم عليها، إلى الحد الذي تتجاوز فيه مرحلة الخوف عليها من تأثير اللغة الأخرى.

- المعموري، محمد وآخرون (١٩٨٤) تأثير تعليم اللغات الأجنبية في تعليم اللغة العربية. المجلة العربية للبحوث التربوية، العدد الأول، م. ٤٤.
- الملا، بدرية سعيد (١٩٩٤) مدى تأثير تعلم لغات أجنبية قبل الصف الرابع الابتدائي مستوى النمو اللغوي للطفل في اللغة العربية. حوثية كلية التربية، جامعة قطر، العدد ١١ ص ٢٨٢-٢٥٦.
- الهاكع، بدرية، وأوجيني، حبيب (١٩٩٤). دراسة استطلاعية حول تعليم اللغات الأجنبية في الحلقة الابتدائية - مجلة التربية والتعليم، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، القاهرة، المجلد الثالث، العدد ٨، ص ١١٥-١٢١.
- وزارة التربية (١٩٩٤ - ١٩٩٧) التقارير الختامية، لجنة متابعة تقويم منهج اللغة الإنجليزية المعمم للمرحلة الابتدائية، مركز البحوث التربوية والمناهج وحدة القياس والتقويم، الكويت.

### المراجع الأجنبية

- Al- Mutawa, N.(1996)- Attitudes of Kuwaiti society towards introducing English as a foreign language at primary schools (EFLPS). The ERC Journal, University of Qatar,9 (5), 7-37.
- Ayari,S.(1996). Diglossia and illiteracy in the Arab world. Language, Culture and Curriculum, 9(3), 243-253.
- Cummins, J.(1978). The cognitive development of children immersion programs. The Canadian Modern Language Review, 34/15.
- Eassa, M.R. & Al-Mutawa, N. (1997). Introducing English in an Arab context. College of Education Anal, University of Qatar, No.14, 1-14.
- Fillmore, L. W. (1991). When learning a second language means losing the first. Early Childhood Research Quarterly, 6, 323-346.
- Kennedy, E. & Park, H.S. (1994). Home language as a predictor of academic achievement: a comparative study of Mexican-and Asian-American youth, The Journal of Research and Development in Education. 27 (3), 188-194.
- Kokonis, C.M. (1995). Foreign language learning in preschool settings. International Journal of Early Childhood, 27 (2), 47-53.
- Krashen, S. (1985). The Input Hypothesis - London: Longman.
- Macnamar, J. (1966) Bilingualism and Primary Education, Edinburgh University Press.
- Mahmoud, A.(1992) Error-based Interlingual Comparisons as a Learner Centred Technique of Teaching Grammar to Arab Students. Ph.D. thesis, University of Salford.

- 
- Mahmoud, A.(1999). Receptive Skills in Foreign Language Teaching Revisited. Unpublished Paper.
  - Mukattash, L. & Al-Khateeb, A.(1983). The Effect of Learning a Foreign Language on Pupils' Achievement at the Elementary School Level. Unpublished Manuscript. The Committee of Educational Research, Ministry of Education, Amman, Jordan.
  - Selim, S.(1995). Using Arabic to facilitate learning English in the preparatory stage. Proceedings: 15th National Symposium on ELT. CEDLT, Ain Shams University, Cairo, PP 73-93.
  - Schimek, F.(1995). Foreign Languages at primary level: Workshops 4A-4B-8A in Council of Europe Report on Workshop 8B: Foreign Language Education in Primary Schools (age 5/6-10/11). Velm bei Hünberg, Austria, 7-13 May. PP 48-54.